المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
فرع الأدب والبلاغة والنقد

مُبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور

(دراســـة بلاغيـــة)

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في البلاغة

إعداد الطالب :

هاني بن عبيدالله بن عناية الله الصاعدي

الرقم الجامعي: ٤٢٨٨٠٠٣٧

إشراف:

أ.د. محمود توفيق محمد سعد

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــــداء

إلى من عرَّفني بالقرآن قبل أَنْ أعرفَ يميني من شمالي ، وربَّاني أحسن تربية ، فكان ربيعي الذي لا يغيبُ عني أبي

إلى من علَّمتني كيف أكون ، فعلَّمتني مبادئ العلوم ومكارم الأخلاق ، فكانت جنَّتي وكنتُ بركةً من عطائها المتواصل أمي

إلى من اقتطع البحث من وقتها وجهدها ، فكانت عوناً وفياً زوجتي

إلى من أُحبُّهم ويُحبُّونَني أشقائي وشقيقاتي

ملخص الرسالة

الحمد لله العلي الأعلى، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، ومن سار على طريقته وبسنته اهتدى.

تُعدُّ قضية الابتكار القرآني من القضايا التي تركها الأول للآخر، فحاز إبداعها الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ) -رحمه الله- في تفسيره (التحرير والتنوير)، فقد تناثرت "مبتكرات القرآن" في ثناياه بغزارة وتنوع وشمول، وكانت مظهراً تميَّز به ذلك التفسير عن سائر التفاسير، واختصَّ بلفظها صاحبها فإذا ذُكرتْ ذُكرَ، ولقد عُدَّتْ معلَماً مبتكراً يحسبُ لصاحبه الذي لم يكن من همِّه الانشغال به عن أغراض المفسِّر الرئيسة، إنما هو بابٌ تهيأ له أن يفتحه ـ مع صعوبته ـ بما منَّ الله به عليه من ذهن وقَّاد، وحافظة قوية، وغزارة علم، وسعة اطلاع، ومعرفة واسعة بكلام العرب قبل القرآن، وبكلام العلماء في اللغة والبلاغة والإعجاز والتاريخ.

ويعمد البحث إلى استجلاء القضية بأبعادها المختلفة من ضبط المصطلح وتحديد المعايير وإبراز المعالم والكشف عن الدوافع والقيم، من خلال قراءة كلامه في المبتكرات وما شابهها قراءةً متأنيةً، تستجلي الرؤية المستترة خلف تلك العبارات الموجزات، فقام البحث على فصلين تقدمهما تمهيد:

أما التمهيد فتناول عضدتي العنوان قبل تركيبهما: فعرَّف بالطاهر تعريفاً موجزاً ثم انطلق في رحاب إبداعه يرسم خطوطه العريضة وسماته البديعة في عنونةٍ أحسبها جمعت ما تفرَّق في الدارسات عن الطاهر، وفصَّلتْ ما أُجمل في شخصيته الإبداعية، ثم انتقل التمهيد إلى الابتكار مفصِّلاً مدلوله اللغوي، ومتتبعاً سير لفظه ومعناه في التراث النقدي والبلاغي، ثم أُسلمَ التمهيد إلى الابتكار القرآني في تراث أهل العلم، مستخرجاً المبتكرات القليلة الموزَّعة في أسفار أهل العلم.

بعده عُقدَ الفصل الأول: الابتكار عند الطاهر ابن عاشور، الذي نظَّرَ لخمس قضايا في خمسة مباحث هي: مفهوم الابتكار ـ معايير الابتكار ـ الابتكار وعربية القرآن ـ الابتكار والإعجاز ـ ومصادر المبتكرات.

ثم شُرِعَ في الفصل الثاني الذي عُني بالوقوف مع كل مبتكر على حدة، سُمِّي بالدراسة التطبيقية لأجل أنه شرحٌ وتفصيلٌ وبيانٌ، وقُسِّمَ أربعة مباحث: المفردات ـ الأساليب والتراكيب ـ التصوير البياني ـ التحسين البديعي.

ثم انتهى البحث إلى نتائجه الإجمالية التي كان من أهمها: تقسيم الابتكار عند الطاهر إلى قسمين: ابتكار تميز وابتكار سبق، كانت أمثلة الأول مظاهر الإبداع في طريقة القرآن وأسلوبه التي لا تجارى ولا تبارى وإن وُجدت عند العرب قبل القرآن برسومها وأنماطها، وجرى ابن عاشور في هذا النوع على كلام السابقين، وفضله تجلَّى في التصريح بما يُلمح في كلام السابقين من قضايا وأمثلة.

وأما ابتكار السبق فكانت أمثلته من الألفاظ والمعاني والأساليب المتاحة أمام العرب، ولكن القرآن سبق إليها بحسب استقراء ابن عاشور لكلام العرب، وقد تجلّى في هذا النوع إبداع ابن عاشور وسعة ثقافته.

نسأل الله أن يَهَبَنا عِلماً وفِقهاً وعَملاً، وأنْ يُلهِمَنا الحقَّ فيما اختُلف فيه، إنَّه هو الوهاب.

الطالب	المشرف	عميد الكلية
هاني بن عبيد الله الصاعدي	أ. د. محمود توفيق محمد سعد	أ. د. حامد الربيعي

Thesis Abstract

Praise to Allah the Lord of the worlds and peace be upon his Messenger and those who followed his way .

The case of the innovation in Koran interpretation is one of the unique cases in which Altaher Ibn Ashur excelled in his interpretation of the Holy Koran in his book , (Altahrir Wal tanweer) . His innovations in his interpretation were so diverse that his style was distinguished among other interpretations and it has been a landmark of innovation as the author was highly interested in the Holy Koran interpretation domain even though the task was hard . His creative thinking and unique intelligence and his knowledge of the Arab speech and the views of the scholars in the fields of eloquence , language , linguistics and history .

The research in hand is mainly based on the case with its variety of dimensions in terms of terminology and his ability to determine the values and motives through his comments on deep thinking of the hidden vision within his unique intricate sentences . The research was based on two chapters proceeded by a preface .

The preface deals with the a concise biography of Altahir and a depiction of his creativity of his innovative personality , then the preface moves to the linguistic definition of innovation and its influence on the eloquence legacy . Then the preface moves to the Koran innovation in its interpretation through the scholars' legacy in this connection .

Chapter one deals with the innovation of Altahir Ibn ashur by categorizing into five studies as thus : innovation concept , innovation in Arabic language , innovation and eloquence and eventually the sources of innovation .

Chapter two deals with each innovation in terms of an applied study and it was categorized into four studies as thus : vocabulary , styles and construction , eloquence depiction and eloquence improvisation .

The research , then , moves to the main results as thus : the categorization of innovation into two parts: a distinctive innovation and unprecedented innovation . The former was distinguished by the innovation features in the Koran interpretation in terms of his reference to his predecessors in this domain .

The unprecedented innovation was distinguished by the inclusion of words and expressions used by the Arabs as Ibn Ashur thought that The Holy Koran preceded the Arabs themselves thanks to the concterated readings and cultural background of the author , " Tahir Ibn Ashur " .

May Allah endow us with science , jurisprudence and show us the truth on the controversial matters . Truly , Allah is the best granter of science .

Student : HANI OBAIDULLAH ALSAEDI .
Supervisor : Prof. Dr. MAHMOUD TAWFEEQ MOHAMMAD SAAD
College Dean : Prof. Dr. HAMID ALRUBAEI

المقدمـــــة

المقدمـــــة

اللهم اجعلنا من المقدَّمين عندك، المقدِّمين لحمدك وذكرك، لك الحمدُ عدد ما في السماوات والأرض، يا بديع السموات والأرض، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وصلاة وسلاماً دائمين على نبيك الكريم، آخر رسلك وأنبيائك زماناً، وأوَّلهم عندك فضلاً وأرفعهم مكاناً، وعلى آله وصحبه السابقين، ومن اتبع نهجهم إلى يوم الدين، وبعد.

فإنَّ كلَّ درس بياني يكتسب قيمته العلمية مما يتعلق به، يشرف بشرفه، ويرقى برقيه، ويزخر بعطائه وسخائه، وأكمل مثالٍ على هذا كلُّ بيان تأمّلَ في كلام الله عَزَّوَجَلَّ، يغوص في مضامينه الباهرات، وآياته النيرات، وسوره المعجزات، وهو قربةٌ من أعظم القرب يزدلف بها كلُّ متدبر؛ رجاء النجاة والفلاح.

ولأنه فضل تسابق العلماء لإدراكه، ونالهم من النصب والمشقة ما كلفهم أن يسخروا أنفاسهم وأعمارهم لتحقيقه والفوز بثمرته الدنيوية والأخروية.

ولأني لا أرقى أن أباشر النظر في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وأرى ذلك أملاً بعيداً، فلن أترك التأمل فيما سطَّره الأئمة الأعلام، وأعلمُ أنه قربةٌ أخرى أن أستن بطريقتهم، وأنوه بأعلامهم وأوصافهم، وأعظم من هذا أن أتفهَّم كلام ربي على نحو ما سطرته أقلامهم، وأسعى للعمل به ما دُمت حياً.

وطالب العلم الحق هو من رشف من هذا الزلال، وقطف من ثماره اليانعات، وأيقن أن بركات هذا العلم الشريف لا تنحاز إلى فئة دون أخرى، ولا يتميز بها صنف عن صنف، ولا تستأثر بها جماعة مختارة، بل هي قريبة من كل مؤمن مخلص، جعلنا الله منهم.

وحينما نتأمل ما بين أيدينا من المؤلفات والدراسات التي باشرت كتاب الله تعالى تفسيراً وتدبراً وبياناً نجدها لا تخرج عن صنفين: صنف أعلى وضع نصب عينيه:

"لا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء "[1]، فذهب في كل اتجاه يسبر أغوار معانيه، ويقلب ألفاظه ومبانيه، ويحتشد له بكل الأدوات؛ قصداً إلى استخراج كنوزٍ لم تصل إليها أيدي السابقين من مكنون ذلك البيان المتجدد، فهو إن لم يُوفَّق يكفيه أنه أغلق باباً من الخطأ وله أجر، وإن هو وفِّق وأصاب فقد أحرز السبق وله أجران. وصنف اعتمد على ما كتبه السابقون فجمع أو رتَّب أو علَّق أو اختصر، وأحسنُ هذا الصنف حالاً من لم يخرج عن نطاق التصنيف إلى الإبداع إلا في حدود ضيقة لا تتجاوز حسن تجميع أو جودة اختصار أو جمال عبارة. وبين هذين الصنفين مدراج شتى نزولاً وصعوداً.

وقد نال جمعٌ من المتأخرين شرف الإبداع في هذا المجال، بما وهبهم الله من ملكات سامية، فلم يقعدهم إبداع القدماء للوقوف على ما أشادوه، وكم ترك الأول للآخر؟

من أولئك الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ)، الذي جمع بين سعة العلم وعمق النظر، فكان فذاً يغري كل دارس، ومبدعاً يعجب كل قارئ، وهو من القلة الذين أثبتوا - نظراً وتطبيقاً - غزارة علومنا، ففتَّح من أكمامها، وأبرز من خبيئها، ورعاها حق رعايتها، فغدا امتداداً لكوكبة لم يخل منها زمان.

وحينما أطرح ما ابتكره هذا العالِم في سائر العلوم، سأجدُ - من غير مبالغةٍ - أن أولاها بالابتكار، وألصقها بالإبداع ما تناثرت أمثلتها في تفسيره (التحرير والتنوير)، ألا وهي **"مبتكرات القرآن"**، التي جدَّ باسمها ورسمها في بلاغة القرآن، وما كان قبله لم يكوِّن ظاهرة، وإنما هي شذرات ههنا وههنا تلقاه الطاهر بساعد الجد، وأوصلها إلى دائرة البحث والبيان بما ثوَّره من قضايا وأخرجه من أمثلةٍ، فحُقَّ لنا -وقد قُدِّرَ علينا- دراستها بالتحقيق والبيان.

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه، وقال: إسناده مجهول. سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبدالباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م، كتاب (ثواب القرآن عن رسول الله ﷺ)، باب (ما جاء في فضل القرآن)، رقم (٢٩٠٦).

واستجلاء أهمية هذه الدراسة يأتي نابعاً من قيمة ما طرحه الطاهر، المتمثلة فيما يلي:

أولاً: أنها عرضٌ لشيءٍ مما أحدثه القرآن من انقلاب هائل في كلام العرب، في شتى مظاهر الكلام.

ثانياً: أن بحث العلماء في الإعجاز البلاغي وفي بلاغة القرآن عموماً لم يلامس قضية الابتكار إلا من أحد طرفيها، وبالتالي كان الطاهر متفرداً في أكثر أمثلتها، وحين أقدِّم مبتكرات القرآن فإنما أُقدِّم بعض مبتكرات الطاهر ابن عاشور، وهذا ممَّا يُحفزُ كل باحث يسعى لدراسة الجديد من القضايا المتعلقة ببلاغة القرآن، التي درسها الأولون والآخرون فأكثروا ولما يدركوا نهايات البدايات التي استأنفوها.

ثالثاً: كثيرٌ من الغموض يجده الناظر في كلام ابن عاشور في المبتكرات؛ وذاك ناشئٌ من جدة القول بالابتكار في القرآن، مما يولِّد تساؤلات عديدة وكبيرة، يفترض من ابن عاشور الإجابة عليها، ولا ريب أنه وقف عند استخراج المبتكرات، دون تحرير " الابتكار القرآني"، ما هو؟ وما معاييره؟ وهل خرج عن معاني العرب وألفاظهم وأساليبهم فاعترض عربية القرآن؟ وما مكانه من الإعجاز؟ وما قيمته البيانية؟ إلا أنَّ هذه التساؤلات أجيبَ أكثرها بطريقة الإشارات الضمنية، فاضطلع البحث بإبرازها، وشرحها حتى تكتمل الصورة على نحو علمي واضح لدى الناظرين.

رابعاً: أنَّ قضية الابتكار القرآني عند الطاهر لها صلة وثيقة بقضايا لغوية وبلاغية وتاريخية، من مثل: وقوع المعرب في القرآن، وخروج القرآن عن معاني العرب وألفاظهم وأساليبهم، وإعجاز القرآن ، والتطور اللغوي، وأثر القرآن في الأدب العربي، وغيرها.

خامساً: من الحقِّ أن الطاهر استلهم التراث البلاغي والنقدي في استخراج المبتكرات، وأنَّه سعى خير مسعىً للتذكير بما رآه "جهة مغفولة من علم البلاغة"[1]، كما هي عبارته في الجهة الثانية من أوجه الإعجاز عنده التي تضمنت "المبتكرات"،

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، بدون تحديد الطبعة، ١٩٩٧ م، جزء ١ ص١١٣.

وساعدته ثقافته الموسوعية بالشعر الجاهلي والشعر الإسلامي أن يضطلع بما لا تقوم به إلا المجامع اللغوية في عصرنا الحديث. ودراسة ما انتهى إليه الطاهر مغرٍ بالنظر المستقصي في جذور هذه القضية عند أسلافنا، ولعل هذه الدراسة تمدُّ جسراً بين أرضين بكرين كما كان المدروس: الابتكار القرآني قبل الطاهر ابن عاشور، والابتكار القرآني لمن يأتي بعده.

وشأنُ كلِّ واحدٍ من هذه المهامِّ أن يُسخّر لها بحثٌ على انفراد، وربما يكون في غير الجانب البلاغي، كأنْ تدرس المبتكرات من زاوية فقه اللغة وتاريخها أو من زواية أدبيةٍ موضوعيةٍ، فينظر إلى مدى ما أحدثه القرآن من مدلولاتٍ وصيغٍ وتراكيب، ووضع هذا التطور ضمن سياق التطورات القبلية والبعدية، أو ينظرُ في أثر تلك المبتكرات في الأدب العربي، وكلُّ ذلك سائغٌ، إلا أنَّ الدراسة البلاغية - بما أُعطيتْ من دقة وشمول - قادرةٌ على استيعاب كل مناحي النظر في اللغة، بل إنها - بدلالتها على البلوغ والوصول - لتدفع بتلك المباحث اللغوية والنحوية والأدبية نحو غايتها في الكشف عن الجمال والإعجاز.

ومن المعلوم بدءاً أنَّ صعوبة القول بالابتكار تكمن في النظر التاريخي للغة في أبعادها المختلفة، وهو ما لا يمكن لأي أحد الجزم بنتائج البحث فيه، خاصة إذا كان نظراً في الشعر الجاهلي الذي ضاع أكثره، ولم يحفظ إلا أقلُّه، واعتمد على الرواية التي كثيراً ما أخطأت في نسبة الشعر لقائله، فالقول بأن أول من ابتكر هذا المعنى أو ذلك الأسلوب هو ذلك الشاعر يستلزم استقراءً تامًّا لما قبله، وذلك لا يتأتى لأحد.

هذا وكيف إذا علمنا أن ليس للألفاظ والمعاني والأساليب في تراثنا اللغوي تاريخٌ يرصد بدقة البدايات والتحولات والتغيرات، وأن هذا المجال مغفولٌ عنه إلا من إشارات مجملة وأمثلة قليلة، لا تُقنعُ من آمن بأنَّ اللغةَ كائنٌ حيٌّ ينمو ويتغير.

وإذا انتقلنا إلى القرآن وجدنا الأمر أقل صعوبة وأكثر حساسية، أقل صعوبة من حيث دلالة معانيه وخصائص أساليبه على مصدريته الإلهية، المخالفة لكلام البشر، المعجزة للثقلين، وأكثر حساسية من جهة إتيان القرآن بلغة العرب، وعلى وفق

ألفاظهم وأساليبهم.

ويبدو أن الطاهر كان مستحضراً هاتين الحقيقتين، فكان سيره بينهما دقيقاً، لا يبغي على شيء من الأصول التي أجمع العلماء عليها. وبالتأكيد أنه ما أقبل على هذا الباب إلا شعوراً بالقدرة عليه، فقد كان ريَّان من شعر الجاهلية والإسلام، بصيراً بالتاريخ والرواية، ألمعياً باللغة والبيان، ولا يحق لمن فقد شيئاً من هذه الركائز، وتلك الأصول، أن يقتحم باب الابتكار.

ولهذا كلِّه فُقدتْ قضيةُ الابتكار القرآني حتى فيمن تلا ابن عاشور، ولم أظفر بعبارةٍ أو إشارةٍ تزيدُ على ما جاء عنده، أو تؤيد ما استخرجه، سوى ما اقترحه شيخنا الدكتور محمد أبو موسى من تحديد" أبواب المعاني التي جرت فيها الاستعارات القرآنية ولم يعهدها اللسان، وهذا باب واسع يحتاج إلى تضافر جهود، والأمر فيه ملبس غاية الإلباس"(١).

وللدكتور أبو موسى إشارةٌ أخرى أوسع مجالاً، وأطول عبارةً، يوصي فيها بدراسة ما أضافه الشعراء من صياغات وتراكيب، وما ابتكره القرآن من صور التراكيب في لغة العرب، ويرى أنَّ هذا الدرس صعب، وفي نفس الأمر هو ضروريٌّ، يقول: "وهذا الجانبُ المهمُ لم يُدرس في أدبنا دراسة جادة، أي: أننا لم نحدد تحديداً دقيقاً ما أضافه كل شاعر من شعرائنا الكبار إلى ثروة اللغة التركيبية من ألوانٍ في الصياغة والتشكيل اخترعها هو، وكانت هناك محاولة متواضعة، تناولت بيان سيدنا - صلوات الله وسلامه عليه -، فعددت بعض الصور التي أضافها صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في بيانه الشريف إلى ثروة اللغة، مثل: "حمي الوطيس"، ولم يُفحصْ كلامُ رسول الله فحصاً كاملاً ليأتي بنتيجة محددة في هذا الباب، ومثل ذلك أسلوب القرآن، فإنِّه على كثرة ما كتب فيه لم يتحدد لنا بوضوح ما نهجه للغة من طرق، وما فتق لها من أساليب البيان وصور التراكيب، وهذا

(١) الإعجاز البلاغي (دراسة تحليلية لتراث أهل العلم)، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م، ص١٣٣.

درسٌ صعبٌ جداً، ولكنه ضروريٌّ في تاريخ التراكيب، ورصد نمو الأساليب، ويجدُ فيه النابهون من طلاب العلم ومحبيه مجالاً فسيحاً لجهود صادقة "[1].

ولا أعلم أحداً درس "المبتكرات" عند ابن عاشور دراسة علمية على كثرة الباحثين في (التحرير والتنوير)، وكانت بعض الدراسات اللغوية والبلاغية في (التحرير والتنوير) تمسُ من المبتكرات ما وافق موضوعها المطروح، بحيثُ انفرد كلُّ بحثٍ بالتنبيه إلى المبتكرات من زاويته المدروسة، وانصرف عن التعليق لشيء مما يتعلق بالابتكار إلى وجهته المقصودة، ولكلٍّ وجهةٌ هو موليها.

ومعلومٌ أنَّ التنبيه وحده لا يكفي، والاستعراض المجرد لا يشفي غلة الباحث المحقق، حتى يغاص في مضامين كلام الطاهر، وتحدد أهداف مركزة تفي بالدوافع والمفاهيم والمصطلحات والمعايير والرؤى والقيم، وهو ما قام به هذا البحث في مجمله.

وبعدُ، فسيلحظ القارئ الكريم بجلاء حين قراءته لمباحث الدراسة أنني قصدتُ إلى استجلاء الظاهرة بأبعادها المختلفة، سواء ما تعلق منها بقضايا لغوية أو نحوية أو صرفية أو تاريخية، وكانت الدراسة البلاغية هي الأصل وإليها المنتهى في قضايا تتعلق باللفظ والمعنى والأسلوب، فلا ضير إذن في عدِّها دراسة بلاغية تُعنى بأعظم طور من أطوار تطور المعاني والألفاظ والأساليب.

وكان أوَّلَ حذري ألا تأخذني تلك الخيوط الممتدة والمتشعبة إلى محيطها، فلا أنا حققت أصل قضيتي، ولا أنا أضفت شيئاً في تلك القضايا، من أجل هذا كففتُ القلم عن الانسياق وراء استطرادات تفوِّت هدف الدراسة، ونصبتُ قول الطاهر عمدةً منه أبدأ وإليه أنتهي، وتعاملتُ معه كما يتعامل الناقد البصير مع الشاعر البليغ، وحاولتُ - قدر جهدي- فَهمَ عباراته ومناقشتها دون تعصب لرأيه أو تحامل عليه، فإنَّ هذا من أوجب حقوق العلماء على تلامذتهم، مع إيماني بأنَّ الدارس سيظل دون المدروس حتى

(١) خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الثامنة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م، ص١٥٦- ١٥٧.

يستجمع له قواه، ويستفرغ له جهده، ويستنير بأهل العلم ممن لهم سبق في اللغة والبلاغة.

واستدعتني طبيعة الدارسة ذات المنهج الاستقرائي التحليلي - قبل أن أخطَّ حرفاً - إلى استقراء المبتكرات في (التحرير والتنوير) وما شابهها، مع تتبع كلِّ ما يُظنُّ أنَّ له علاقةً بالابتكار من قريب أو بعيد في تحريراته المختلفة، فأحصيتُ له أكثر من ستين موضعاً يقول فيه بالابتكار مع اختلاف العبارات والمصطلحات، حددتُ منها ثمانية وخمسين مبتكراً، وفقاً لضوابط سترِدُ في موضعها من البحث، وبجانب قراءتي للتحرير والتنوير كثَّفتُ القراءة في مؤلفات الطاهر جميعاً؛ لأنّي على يقين بأن قراءة عقل العالم من مؤلَّف واحد كقراءة معلومة مجتزأة عن سياقها، وهنا يأتي الفرق بين الدراسات التي قرأت الطاهر في (التحرير والتنوير)، والدراسات التي قرأت (التحرير والتنوير)في سياق الطاهر الممتد وفي محطيه الواسع.

وأهداف الدراسة تتمثل في:

الأول: إبراز الصورة الكاملة للابتكار عند الطاهر ابن عاشور، يدخل في هذا منهجية عرضه للمبتكرات، وتوضيح مصطلح الابتكار وما شابهه وتحديد المعايير، وإزالة كل غموض علق بعبارته، والرصد الدقيق لكل جزء من جزئيات تصور الابتكار عنده، وبتحقيق هذا الهدف تكتمل القضية عنده بأبعادها.

الثاني: بيان مكان قول الطاهر بين أقوال السابقين، ورصد أي إشارة أو عبارة من كلامهم تتعلق بالمبتكرات، وبتحقيق هذا الهدف تُحددُ دائرة الابتكار - بصورتها المكتملة - مدى إبداع ابن عاشور في هذه القضية، وإضافاته الجليلة في هذا الميدان. يلحق بهذا الهدف ما سعت إليه الدراسة وليس في وسعها استقصاؤه والجزم بنتائجه، وهو الاستدراك على ابن عاشور إذا عثر على ما يلغي احتمالية حكمه بالابتكار، ويكفي الباحث أنه حققَ شيئاً يُذكر له، وهو - بعد هذا - متروكٌ لكل باحث يطالع هذه المبتكرات، وسيبقى ظنُّ ابن عاشور قائماً حتى يأتي الدليل، وتتضح البينة.

وقد صيغت مباحث الدراسة للوفاء بتحقيقها على النحو التالي:

مُهدت الدراسة بتمهيد في اتجاهين:

- ترجمة صاحب المبتكرات ترجمة مختصرة ألجأني لها - مع وضوح حياته لقربها وكثرة من ترجم لها - حاجة البحث لمهمات الشخصية الإبداعية، التي عُنونَ لها بعد بـ "شخصية ابن عاشور الإبداعية".

- وإذا مهدت بالتعرف على صاحب المبتكرات كان حقيقاً التمهيدُ للمبتكرات، بالتعرف على المدلول اللغوي أولاً، والكشف عن الابتكار في التراث النقدي والبلاغي ثانياً، ثم الانتهاء إلى الكشف عن الابتكار القرآني ثالثاً، ملتجئاً إلى التتبع التاريخي للقضية فيهما، محاولاً بذلك بيان واقع الابتكار قبل الطاهر لأتفرغ بعد ذلك لصلب الدراسة التي قُدِّر لها أن تكون في فصلين: الأول نظريّ، عُنون له بـ"الابتكار عند الطاهر ابن عاشور"، وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الابتكار.

المبحث الثاني: معايير الابتكار.

المبحث الثالث: الابتكار وعربية القرآن.

المبحث الرابع: الابتكار والإعجاز.

المبحث الخامس: مصادر المبتكرات.

والثاني: تطبيقيّ، عُنون له بـ"الدراسة التطبيقية" ، وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول: في المفردات.

المبحث الثاني: في التراكيب والأساليب.

المبحث الثالث: في التصوير البياني.

المبحث الرابع: في التحسين البديعي.

ثم جاءت الخاتمةُ مصورةً أهمَّ النتائج والتوصيات.

وفي ختام هذه المقدمة أشكر الله سبحانه على نعمه الوفيرة وآلائه العظيمة شكر العاجز الضعيف للقادر القوي، ثم الشكرُ لوالدي الكريمين شكرَ برٍّ وإحسانٍ، ثمَ أشكرُ كلَّ مَنْ أسهم أو ساعد في إعداد هذا البحث من بذوره المتناثرة إلى ثماره الباسقة، وأولاهم بجليل الشكر وخالص الدعاء سعادة الأستاذ الدكتور محمود توفيق محمد سعد، الذي سعى بالتعليم والتثقيف والتقويم للباحث قبل بحثه، فجزاه الله خير الجزاء، ثم الشكر موصول إلى أساتذتي الفضلاء، أعضاء هيئة التدريس بقسم البلاغة والنقد بجامعة أم القرى، وأخص منهم من حببنا في العلم وأهله، وزرع فينا ضرورة الإخلاص وقيمة الصدق في طلبه شيخنا الأستاذ الدكتور محمد أبو موسى، الذي نظر في البحث وليداً، وشجعني على مواصلة بحثه، والذي ما زالت كلماته المسموعة والمكتوبة مسطورة في قلوبنا، فله من الشكر أجزله، ومن الحب أوفاه، ولا أنسى من غمرني بحبه وأعطاني من سلسبيل أخلاقه وفيوض علمه، فكان نعم الرَّحم علماً وأدباً ونصحاً، الدكتور سعود بن حامد الصاعدي، والأستاذ لافي بن حمود الصاعدي، والشكر مُبَلَّغٌ إلى كلِّ أقاربي وزملائي، وكلِّ من أولى يداً في إنجاز هذا العمل المتواضع.

وأشكر المناقشين الكريمين ، العالمين الجليلين ، على قبولهما بمناقشة هذه الرسالة ، وتقويم ما اعوَّج منها : سعادة الأستاذ الدكتور دخيل الله الصحفي ، وسعادة الأستاذ الدكتور محمد شادي ، بارك الله لهما في علمهما .

وأستغفر الله من كل زلةٍ أو خطأٍ أو نسيانٍ، وأسأل الله علماً نافعاً وعملاً صالحاً ودعوة مستجابة، إنه هو الغفور الرحيم.

التمهيـــــد

التمهيـــــد

وفيـــــه :

۞ أولاً : (أ) ترجمة الطاهر ابن عاشور.

(ب) شخصية ابن عاشور الإبداعية.

۞ ثانياً : (أ) المدلول اللغوي.

(ب) الابتكار في التراث النقدي والبلاغي.

(ج) الابتكار القرآني في تراث أهل العلم.

الوضع المنطقي السليم يدعوني لأن أُمهِّدَ لقضية الابتكار عند الطاهر ابن عاشور - المتوفى سنة (١٣٩٣هـ) بتتبع جذورها في التراث قبله؛ لنأخذ تصوراً عاماً إلى حيث وقوفها عنده، ثم نسير معه - بعد ذلك - متفرغين لتجلية القضية بكل أبعادها، واقتضى ذلك أن أعرِّف بالمدلول اللغوي أولاً، ثم ألجَ إلى الابتكار في التراث النقدي والبلاغي ثانياً، ثم أقفَ مع أبرز أمثلة الابتكار القرآني في تراث أهل العلم قبل الطاهر.

وقبل هذه الممهدات رأيتُ أن أقدِّم بما هو لصيق بالابتكار، وهو الجانب الإبداعي في شخصيته العلمية، الذي كان له أثره الواضح في المبتكرات القرآنية التي استخرجها، فحَسُنَ إبراز المكونات الفطرية والاكتسابية التي كونت إبداعه الذي شهد له علماء عصره ودارسو تراثه. وكلُّنا يُؤمنُ بأنَّ الوعي الدقيق لمكونات العالم العلمية والثقافية يُساعدُ على الكشف عن المنطلقات التي بدأ منها في النظر والبحث، وتُبينُ الروافد التي غذَّت فكره وثقافته، وبالتالي تتجلى الدعائم المحركة لما يقول من آراء، أو يختار من أقوال، أو يبتكر من أنظار.

ولا ريب أنَّ تأخر زمن ابن عاشور أغناني عن ترجمة حياته بالتفصيل من ولادته إلى وفاته؛ إذ قد تحدَّث عنه معاصروه وتلامذته وأبناؤه بما يمتنع على الزيادة، ودوَّنوا كل ما يتعلق بحياته حتى ذكروا دقائق حياته الخاصة، ولئلا أقع في أسر التكرار والاستكثار نحوتُ بالحديث إلى الإيجاز في ذكر مهمات حياته، ليتجه البحث نحو إبداعه وأمثلته ابتكاره.

وهذه الممهدات توزعت على العناوين الآتية:

أولاً: (أ) ترجمة الطاهر ابن عاشور.

(ب) شخصية ابن عاشور الإبداعية.

ثانياً: (أ) المدلول اللغوي.

(ب) الابتكار في التراث النقدي والبلاغي.

(ج) الابتكار القرآني في تراث أهل العلم.

أولاً: (أ) ترجمة الطاهر ابن عاشور[1]

❖ نشأتـــه:

نشأ عالمنا في أسرة عريقة النسب، طيبة المنبت، فجده الأعلى عاشور فرَّ بدينه من بلاد الأندلس حين انتشر المد الصليبي، ووصل إلى تونس سنة (١٠٦٠هـ - ١٦٥٠ م).

وقد توارث أجداده العلم وتعليمه، وهكذا الشجرة الطيبة أكلها دائم وعطاؤها متواصل، وتلك المنابت الزكية هيأت تربة صالحة نقية لبزوغ نجمها الذي ورث علمها، وحفظ اسمها، " محمد الطاهر بن الشيخ محمد بن محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور "[2]، حيثُ ولد بـ"ضاحية المرسى" في تونس، في جمادى الأولى (١٢٩٦هـ) سبتمبر (١٨٧٩م)، في قصر جدِّه لأمِّه محمد العزيز بوعتور.

وكان من أكبر المؤثرات في جو هذه الأسرة الكريمة توراث العلم، حيث حديث الآباء للأبناء عن الأجداد، الذي يورث محبة الاقتداء بهم، فلا ريب أن يُقرع سمع ابن عاشور (الابن) بهاتيك السير العطرة التي احتذاها آباؤه من قبل.

على أن التأثير المباشر الذي تلقاه ابن عاشور كان من نصيب جده لأمه الوزير

(١) ينظر ترجمته: محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة، طبع على نفقة حضرة صاحب السمو الشيخ حمد آل ثاني بإشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤ م، الجزء الأول " شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور"، محمد الطاهر ابن عاشور: حياته وآثاره، د. بلقاسم الغالي، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، وتراجم ستة من الأعلام، محمد الحمد، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ، الاستعارة التمثيلية في تفسير التحرير والتنوير، د. علي العطار، رسالة دكتوراه، مخطوطة بكلية اللغة العربية في الأزهر ٢٧٢ / ٤٨، والمقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، د.حواس بري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م، ومقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر ابن عاشور، تحقيق: د. محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس - الأردن، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسير التحرير والتنوير، د. هيا العلي، دار الثقافة، ١٩٩٤م.

(٢) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسير التحرير والتنوير، ص١٩.

محمد العزيز بوعتور، الذي كان له استقلال في النظر والاجتهاد، وكان همُّه الأول الإصلاح، أحاط هذا العالم المصلح بحفيده " حين آنس إقبال سبطه على العلم ونبوغه في اللغة وتوفره على الأدب، وهب له خزانة كتبه فكانت خير هدية أهديت إليه حيث عكف على مخطوطاتها، وأمعن في قراءاته لنفائسها "(١)، وكان له أثرٌ كبيرٌ في حياة ابن عاشور وتوجهه العلمي والإصلاحي.

❖ **سيرته العلمية:**

كانت البداية فحفظ القرآن وعمره لا يتجاوز الست سنوات في عام (١٣٠٢هـ)(٢)، ثم بدأ بفنون العلم يتعلم مبادئها علماً علماً.

ثم كان انخراطه في جامع الزيتونة عام (١٣١٠هـ)، حيث واصل تعليمه وبدأ ينهل من مناهل شيوخها، ومن أبرزهم إبراهيم المارغني وسالم بو حاجب وعمر بن الشيخ ومحمد النجار ومحمد بن يوسف ومحمد النخلي، إلى أن حاز على شهادة التطويع بتقدير (فائق)، وعمره واحدٌ وعشرون عاماً.

ويكفي أن أسطِّرَ ما قاله عنه رفيق دربه وصديقه الشيخ محمد الخضر حسين مصوراً ما شبَّ عليه الطاهر، قال: "شبَّ الأستاذ - ابن عاشور - على ذكاء فائق، وألمعية وقادة، فلم يلبث أن ظهر نبوغه بين أهل العلم. ولما كان بيني وبينه من الصداقة النادرة المثال، كنا نحضر دروس بعض الأساتذة جنبًا إلى جنب، مثل الأستاذ الشيخ سالم أبي حاجب لشرح القسطلاني على البخاري، ودرس الأستاذ الشيخ عمر ابن الشيخ لتفسير البيضاوي، ودرس الأستاذ الشيخ محمد النجار لكتاب المواقف للإيجي، وكنتُ أرى شدة حرصه على العلم ودقة نظره متجليتين في لحظاته وبحوثه... وللأستاذ فصاحة منطق، وبراعة بيان، ويضيف إلى غزارة العلم وقوة النظر صفاء الذوق وسعة الاطلاع

(١) محمد خفاجي في مهرجان ابن عاشور، ص٣، نقلاً عن: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسير التحرير والتنوير، ص٢٩.

(٢) ينظر: الاستعارة التمثيلية، ص٥١.